٤٦- أدب الاختلاف وذم التعصب

على هامش انتخابات الرئاسة فى مصر

- مقدمة
- زمان الفتن
- أدب الحوار
- ذم التعصب
- الخطبة الثانية

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**سيأتي على الناس سنوات خداعات، يُصَدَّقُ فيها الكاذب، ويُكَذَّبُ فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، وينطق الرويبضة**».

قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟

قال: «**الرجل التافه يتكلم في أمر العامة**». أحمد والحاكم بسند صحيح.

زمان الفتن:

إنه زمان الفتن . . زمان اختلط فيه الحابل بالنابل، والصالح بالطالح، وطالب الدنيا بطالب الدين . .

وها قد أصبح الناس في حيرة من أمرهم بسبب صراع الدنيا . . صراع على الحكم . . صراع على السلطة . . وبسبب إعلام فاسد، ينعق ليل نهار ويتأرجح بين الناس حسب الأهواء والمصالح . .

وتعالوا لنمسك بطرف الخيط مع حذيفة بن اليمان وهو يسأل النبي ﷺ:

يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير «**الإسلام**» فهل بعد هذا الخير من شر؟.

فقال النبي ﷺ: «**نعم**».

فقلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟.

قال النبي ﷺ: «**نعم وفيه دخن**» أي غبش . .

قلت: وما دخنه يا رسول الله؟.

قال ﷺ: «**قوم يهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر**» أي تنكر منهم أراءً لا أصل لها في كتاب أو سنة . .

قلت: فهل بعد هذا الخير «**أي الذي فيه دخن**» من شر؟.

قال: «**نعم . . دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**» لأنهم يحرمون ويحللون حسب أهوائهم.

قلت: صفهم لنا يا رسول الله؟.

قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلوبهم قلوب الشياطين في جثامين إنس**».

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟.

قال ﷺ: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟.

قال ﷺ: «**تعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**». البخاري ومسلم.

- ويقول ﷺ:

«**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم . . والقائم فيها خير من الماشي . . والماشي فيها خير من الساعى . . ومن تشرف لها تستشرفه . . فمن وجد ملجأ أو معاذًا فليعذ به**».

من تشرف لها تستشرفه أي من تعرض لها تهلكه . .

- فماذا نفعل يا رسول الله وبماذا تأمرنا؟

يقول ﷺ:

«**. . وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . . وتجيء الفتن فيرقق بعضها بعضًا . . ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن:**

هذه مهلكتي، هذه مهلكتي . . ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه . . فمن أراد أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه».

أي يعامل الناس بما يحبونه من المعاملة الكريمة . . والكلمة الطيبة . . بلا تشاحن أو تباغض . .

وأن يكون جداله معهم بالتى هي أحسن واختلافه معهم بلا تطاول أو شتائم أوتهم مرسلة . .

وهذا هو أدب الإسلام وأخلاق الإسلام وآداب الحوار والاختلاف . . .

أدب الحوار:

- الأخوة الأحباب . .

على هامش ما نعيشه هذه الأيام من فتن وتخبط علينا أن نقر ونوقن ونؤمن بسنة الله في خلقه وهى الاختلاف . .

فالناس مختلفون في أشكالهم وألوانهم . . وأطوالهم وأجسامهم . . وعقولهم وأفهامهم وميولهم وفقرهم وغناهم . . وقوتهم وضعفهم . .

وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول في هذا المعنى:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. [هود: ١١٨، ١١٩].

إذًا فالاختلاف في العقول والأفهام يترتب عليه اختلاف في المواقف والآراء، وهذا هو الأمر الطبيعي . . ولقد اختلف الصحابة ﷺ ورسول الله ﷺ موجود معهم . . واختلفوا أيضا من بعده . . وكانت لهم مدارس مختلفة في الفقه . . كما اختلف علماء الأمة من بعدهم في كل عصر، وهو ما لم يكن أبدًا سببًا في العداء والبغضاء والشحناء والخصام . .

وقديما قالوا: الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

- إذًا فللحوار آداب . . وللاختلاف آداب . . فأين نحن من هذا الفهم الإسلامى للحوار والاختلاف؟.

انظر إلى هذه الآداب في حوار إبراهيم، عليه السلام، مع أبيه بصبر وتحمل وأدب ومنطق . .

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾. [مريم: ٤١ - ٤٨].

- بل إن المولى عز وجل يتحاور حتى مع الشيطان ويعطيه الفرصة ليتكلم دون أن يصادر على رأيه أو يمنعه من الحوار ليقيم عليه الحجة . .

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

[سورة ص: ٧٥ - ٨٥].

- مثال آخر للحوار الراقي. . الحوار الذي ينزل على القلوب كالبلسم الشافي. .

يدخل شاب على النبي ﷺ وهو جالس مع أصحابه. . يدخل هذا الشاب وثورة الشهوة والشباب تجرى في عروقه ويقول: يا رسول الله ائذن لي بالزنا . .

فكيف يكون حوار النبي ﷺ مع شاب يطلب هذا الطلب الغريب . .

قال له النبي ﷺ: «**ادن**» أي اقترب . .

فجلس الشاب ووضع النبي يديه على فخديه ثم قال له: «**أتحبه لأمك؟**».

قال الشاب: لا والله، فقال النبي ﷺ: «**وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم . . أتحبه لأختك؟**».

قال الشاب: لا والله، فقال النبي ﷺ: «**وكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم.. أتحبه لابنتك؟**». قال الشاب: لا والله، فقال النبي ﷺ: «**وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .. أتحبه لعمتك؟ أتحبه لخالتك؟**».

والشاب يقول: لا والله فقال له النبي ﷺ: «**وكذلك الناس**».

ثم رفع النبي ﷺ يده ولم يهوِ بها على وجهه، أو يسبه أو يشتمه، وإنما وضعها على صدر الشاب وقال:

«**اللهم طهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، واغفر ذنبه**». مسند أحمد.

كانت النتيجة لهذا الحوار الراقي أن خرج الشاب من عند رسول الله ﷺ وهو يقول: والله ما على الأرض شيء أقبح عندي من الزنا.

- هكذا يكون الحوار في الإسلام ..

وبمناسبة ما نعيشه هذه الأيام نذكر أننا كلنا مصريون .. مسلمون .. ربنا واحد.. ونبينا واحد .. وكتابنا واحد.. ولغتنا واحدة.. ومصلحتنا واحدة .. ومصيرنا واحد ..

فلماذا هذا التفرق؟ ولماذا هذا التشرذم؟ ولماذا هذا الخلاف؟ ولماذا هذا العنف؟ ولماذا هذا السب؟ ولماذا هذا الشتم؟ ولماذا هذا التعصب للرأي؟

إن التعصب مذموم في الإسلام أيًّا كان شكله .. سواء كان تعصبًا لمذهب، أو تعصبًا لحزب، أو تعصبًا لجماعة، أو تعصبًا لشخص ..

ذم التعصب:

فما هو سبب هذا التعصب البغيض؟.

والله لا سبب له إلا اتباع الهوى .. والهوى اليوم إله يعبد من دون الله.

وقد حذرنا مولانا عز وجل من تلك الآفة التي تهدم الدين، فقال عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

[الفرقان: ٤٣، ٤٤].

- وتعالوا أيها الإخوة الأحباب نطل على بستان تلك الآية الكريمة التي تصور حالنا من التعصب والتشاحن والتحزب . . يقول رب العزة في سورة الروم:

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. [الروم ٣١، ٣٢].

أي جعلوا المسلمين طوائف وجماعات وأحزابًا، يشايع بعضهم بعضًا، وكل فرقة تشايع قادتها وينصرونهم بالحق والباطل دون مراعاة لأوامر الله ونواهيه . .

- ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾. أيضًا أخذوا منه ما يروق لهم، خدمة لمصالحهم وتركوا ما لا يوافق هواهم . .

- ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

أي كل حزب يرى أنه على الحق دون غيره . .

- وقد جاء في الصحيحين: بينما الرسول ﷺ في بعض غزواته وقد خرج معه المهاجرون والأنصار . . ثم كان رجل من المهاجرين كثير المزاح، كسع رجلا من الأنصار ـ أي ضربه على عجيزته بيده أو برجله» . .

فغضب الأنصارى غضبا شديدا حتى تداعى القوم . .

فقال الأنصاري: يا للأنصار . . وقال المهاجري: يا للمهاجرين . .

وكادوا أن يقتتلوا، فنادى عليهم النبي ﷺ غاضبا:

«**أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم؟ دعوها فإنها خبيثة**». الصحيحان.

وفى رواية: «**دعوها فإنها منتنة**».

أي دعوا التعصب لأنه يفرق بين الإخوة وأهل الدين الواحد بل أهل البيت الواحد . .

دعوا التعصب فإنه خبيث . . منتن . . من دعوى الجاهلية . . اتباع للهوى

- وهذا تحذير آخر من النبي ﷺ وتبرؤ منه ﷺ من كل من يدعو إلى عصبية أو إلى تعصب لفكرة أو جماعة أو حزب أو شخص . . فيقول ﷺ:

«**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**». سنن أبى داود.

- يا من ما زلت تستهين بحديث النبي ﷺ استمع إلى حكمه ﷺ وهو يقول:

«**من قُتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية فقتلته جاهلية**». مسلم.

الأخوة الأحباب . . .

نعوذ بالله أن نكون من أهل التعصب وأهل العصبية . .

ونعوذ بالله أن نكون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. [الرُّوم: ٣٢].

الخطبة الثانية:

لكل منا أن ينتخب أو لا ينتخب . . ينتخب فلانا أو ينتخب غيره ولكن بمراعاة أمرين:

الأول: أن تظل الأخوة قائمة رغم اختلاف الرأي . . يقول الشافعي:

«ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة».

ويقول: «**ما ناظرت أحدًا إلا قلت: اللهم أَجْرِ الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني، وان كان الحق معه اتبعته**».

الثاني: يجب أن نراعى أمورًا مهمة وثوابتَ شرعية علينا الالتزام بها . .

وأهمها: حرمة دم المسلم، وحرمة ماله، وحرمة أمنه وسلامه . . فلا مجال في شرعنا لسب ولا لشتم ولا لضرب ولا لحرق ولا لإتلاف الأموال ولا لقتل . .

- ولنتذكر قول نبينا ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل امرئ مسلم**».

الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

- ولنتذكر وقفته ﷺ على عرفات مناديًا:

«**أيها الناس، إن أموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد**». البخاري ومسلم.

- ولنتذكر تحذيره ﷺ لنا «**من أخاف مؤمنًا كان حقًّا على الله ألا يؤمنه من فزع يوم القيامة**». الطبراني.

- ولنتذكر قوله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا**». أبو داود.

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ: قال النبي ﷺ: «**أخاف عليكم الهرج**» قالوا: ما الهرج يا رسول الله؟.

قال: «**القتل**». قالوا: فإنا نقتل من المشركين كذا وكذا في العام الواحد..

فقال ﷺ: «**ليس بقتلكم المشركين ولكن قتل بعضكم بعضًا حتى يقتل الرجل أخاه وابن عمه وذا قرابته**» فاشتد ذلك على القوم فقالوا:

يا رسول الله وفينا كتاب الله؟ قال ﷺ: «**وفيكم كتاب الله**»

قالوا: ومعنا عقولنا ذلك اليوم يا نبي الله؟.

فقال ﷺ: «**إنه ينزع عقول عامة ذلك الزمان، ويخلف هباء من الناس لا عقول لهم، يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء**». مسند أحمد وسنن ابن ماجه.

أي: يعتقدون أنهم على الحق وهم ليسوا كذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. [المؤمنون: ٥٣].

- الأخوة الأحباب.. هذا هو شرع ربنا.. وهذا هو حديث نبينا وهديه، لا نتركه لقول قائل مهما كان..

فاللهم أذهب عنا الغل والبغضاء واجعلنا ممن قلت فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا﴾. [الحجر: ٤٧].

اللهم.. إنك قلت وقولك الحق: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. [يُوسُف: ٩٩] فأنزل على مصرنا الأمن والأمان.